أمامها الآخرون حول ابناء طائفتي ، وقد حدثت اكثر من مرة اشتباكات بين الاشكناز والاشفار اديم . . . كانوا ينعتوننا بالمجرمين او « مراكشي مسكين » كل ذلك ضمن اطار الجيش ، ولم يكن ذلك دائما بروح طيبة ، وحينذاك نصل الى الاشتباك . لم يكن لنا اي شيء مشترك مع ابناء الكيبوتس والاشكناز الاخرين »(٤٩). وهذه هي المرة الاولى التي تتكشف فيها الصراعات داخل الجيش على اساس اجتماعي اثني ، ولعل هذه الصراعات كانت من بين الاسباب التي دعت بعض المسؤولين للتحذير من « خراب الهيكل الثالث ».

الا ان ما هو اخطر من هذه الاشتباكات ، توصل البعض من ابناء الطوائف الشرقية الى التمرد على الخدمة العسكرية وذلك بواسطة ارجاع الهويات العسكرية الى الجيش ادراكا منهم بأن الجيش هو المكان الوحيد الذي تحتاجهم فيه السلطات العليا ، حيث يشكل ابناء الطوائف الشرقية لبنة اساسية في حجمه ، مطلقين صرخة المسحوقين الذين يساقون الى الحروب لمصلحة الاسياد : « نقاتل من اجل من ؟ » او كما يقول حانوخا مزراحي احد المتمردين على الخدمة العسكرية « انهم يرسلوننا الى الجيش للمحافظة على المتحف الخاص بموشيه ديان ، في الوقت الذي لا نملك فيه مكانا للنوم — لماذا ينبغي علينا ان نذهب للجيش ؟ » او كما يقول زميله « جيورا » : « عندما روى زميلان لنا بأنهما تلقيا أمرا بالانخراط في سلك الاحتياط ، فكرنا : نقاتل من اجل من ؟ ولماذا نقاتل ؟ عندما كنا ابناء ١٨ عاما ذهبنا الى الجيش بقلب مفعم بالحب . . . واعتقدنا ان ذلك بمثابة فخر لنا ، ولكن اتضح بمرور الزمن ان الجيش هو بمثابة المكان الوحيد الذي تستخدمنا فيه الدولة . . ليس من المعقول ان يطلبوا منا ان نقدم ارواحنا لدولة لا توفر لنا ادنى الشروط للعيش كبشر » . ولعل ما هو اخطر من ارجاع الهويات العسكرية ، ظاهرة التهديد باستخدام العنف من قبل المتمردين على الخدمة العسكرية ، الذين لا يرون في ارجاع الهويات آخر المطاف في نضالهم ، بل حلقة تؤدي الى حلقة العنف كما يقول حانوخا مزراحي « اننا نأمل في ان يستمعوا الينا الان ، **وان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش** . . . ولكن في المكان الذي يسيطر فيه قانون الغاب — مثل هذه البلاد — في المكان الذي لا يمكن فيه الحصول على شيء الا عن طريق العنف ، فاننا لن نتردد ايضا نحن عن التصرف كالآخرين . لن نأكل الطين ونقول بأنه عسل »(٥٠).

الى جانب هؤلاء المتمردين الذين يحذرون من « ان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش » هنالك كاتب اسرائيلي يدعى يهودا نيني (من اصل يمني استطاع بعصاميته أن يثقف نفسه بنفسه ويحصل على الدرجة الجامعية العليا) لم يتوجه الى السلاح مهددا ، بل توجه الى من ماتوا تحت السلاح عام ١٩٤٨ من بين اليهود الشرقيين وخاصة اليمنيين منهم ، توجه اليهم ليخبرهم بأنهم ماتوا ميتة رخيصة ، ماتوا نتيجة الكذب والخداع والتضليل من قبل تجار الحروب « وانني اعرف كيف سقطوا ، واعرف اعمالهم حتى ساعتهم الاخيرة ، الا انهم لا يعرفون اعمالنا ، انهم لا يعرفون الى اي حد خانهم المجتمع الاسرائيلي ، الى اي حد هانت المثل التي قاتلوا من اجلها ، انهم لا يعرفون بأن تجار الحروب اولئك الذين يعتقدون بأن دماءهم اكثر احمرارا من دمائهم ، هم المسيطرون اليوم »(٥١).

ويبلغ يهودا نيني الذروة في مرثيته بقوله : « لقد قلت — انني لست ذاهبا الى قبورهم ، ولكن يبدو لي انه يتوجب علي ان اذهب لاقول لهم انهم خدعوهم وضللوهم وغرروا بهم ، لاقول لهم بأن موتهم كان رخيصا وتضحيتهم ذهبت سدى ، لاقول لهم ان آباءهم يسكنون الجحور والكهوف بينما تقاسم الآخرون فيما بينهم الاماكن الجميلة في البلاد ، ويبدو لي انه ينبغي علي ان أزورهم لاقول لهم « ان الذروة في حياتكم هي لحظة مماتكم . . . » لاقول لهم ان الشعلة المضيئة من قبورهم قد اخمدتها انهار الكذب وان رماد الشعلة قد جرفته انهار الفساد . . . »(٥٢).